

سلسلة النخبة والمقدسات

رؤي جديدة

٦

د. سعاد صالح

## رؤي وموقف

مقدمة....

منذ أن تخرجت الدكتورة سعاد في كلية الدراسات الإسلامية العام ١٩٦٧ وهي تضع قضايا الأسرة المسلمة في مقدمة اهتماماتها حيث اختارت موضوع "الطلاق بين الإطلاق والتقييد" ليكون محور رسالة الماجستير التي حصلت عليها العام ١٩٧٣ ثم اختارت موضوع "الحجر على الصغير والسفية : ليكون عنوان رسالة الدكتوراه التي حصلت عليها بالتقدير ذاته .

فهي تؤمن بأن الدين المعاملة وأن رجل الدين يجب أن يكون قدرة ومثلاً يحتذي به داخل أسرته وخارجها ولذلك وضعت أسرتها على رأس أولوياتها فبمجرد دخول منزلها تخلع عباءة الفقيهه وترتدي ثوب الزوجة المسلمة التي إذا نظر إليها زوجها سرته وإن أمرها أطاعته .

تدرجت في المناصب القيادية بجامعة الأزهر إلى أن أصبحت أستاذة الشريعة الإسلامية والعميدة السابقة لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بالأزهر وعلى مدى أكثر من خمسة وثلاثين عاماً عكفت د. سعاد صالح الأستاذة في كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر على خدمة الدعوة الإسلامية تارة من خلال مؤلفاتها التي تناولت قضايا دينية شائكة وتارة من خلال فتاواها التي اختلف حولها العلماء.

حيث ظلت نحضي بثقة واحترام الجميع باعتبارها المرأة التي نافست الرجال في مجال الفتوى الدينية حتى لقبها البعض بمفتية النساء يومها موزع ما بين النشاط الدعوى والإعلامي حيث تجيب يوميا عن العديد من الأسئلة الدينية والاستفسارات الواردة من النساء من خلال البرامج التلفزيونية التي يتم استضافتها فيها فضلا عن الندوات والمحاضرات التي تقوم بإلقائها يوميا في المساجد والمنتديات وذلك في إطار برنامج دعوى يتم تنظيمه خلال شهر رمضان الكريم من عدة جهات .

لها العديد من المؤلفات أبرزها : علاقة الأباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية – أحكام عبادات المرأة في الشريعة الإسلامية – أضواء على نظام الأسرة في الإسلام – أحكام الميراث والوصية في الشريعة الإسلامية – الطلاق بين الإطلاق والتقبيد – أحكام تصرفات الصغير – حقوق المرأة في الإسلام .

وخلال هذه الصفحات ستناول مع د. سعاد صالح رؤيتها حول قضية التقريب بين المذاهب الإسلامية ، خاصة السنة والشيعة ، ودور علماء الأمة في ذلك ، وقضية تجديد الفكر الديني ، وكيفية إعداد الدعاة ، ودور الأزهر في قضايا الإسلام والمسلمين ، وفوضى الفتاوى ، وغيرها من القضايا الأخرى المهمة في هذا الحوار.

## الفتنة العراقية

تعمل القوى الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة على تأجيج الصراع بين عنصري الأمة الإسلامية السنة والشيعة وتأليب كل طرف ضد الآخر حتى تستنزف قوتهم وتتبدد إمكاناتهم في حروب ونزاعات تهيئ للاستعمار الجديد المناخ للهيمنة على البلاد الإسلامية والسيطرة على ثرواتها وقد نجحت قوى الاستعمار الجديد في إثارة الخلافات المذهبية وتضخيمها لدرجة دفعت بعض المسلمين من أهل السنة رغم إدراك الجميع أن الولايات المتحدة لا تريد خيرا لهم وأنها تسعى لإقامة إمبراطورية في المنطقة .

وتكريس سيادة إسرائيل وسرقة البترول والثروات العربية .  
وتعتبر الفتنة بين السنة والشيعة في العراق نموذجا لما يريده الأمريكان للبلاد الإسلامية الأخرى فقد عملت الإدارة الأمريكية اليمينية المتطرفة على إشعال نار الفتنة في العراق منذ احتلاله وقامت بتدمير مساجد للسنة والشيعة ودبرت تفجيرات في أوساط تجمعات لتأليب الجانبين ضد بعضهما البعض ويجب أن يتأكد المسلمون أن الخلافات بين السنة والشيعة هي في الفروع وليست في الأصول وأنه يجب ألا ينشغلوا بتلك الخلافات وأن يعملوا على توحيد الصف في مواجهة الحملة الصليبية التي يقودها الرئيس الأمريكي بوش ضد المسلمين .  
عندما يبتغي العمل لصالح أمتنا للملمة ما تبعثر من أوراقها لحفظ ماء وجهها وانتشالها من ذلها لإعادتها إلى المكانة الطبيعية لها لابد لنا من السعي لتوحيد صفوفها ومقاومة عدوها وأن، ما وصلت إليه الأمة اليوم من تشرذم وتفكك وذل

هو مدعاة للتأمل والتفكير والبحث عن الأسباب ، وكيفية إيجاد المخارج والحلول بعيداً عن العنصرية والتذمر فبدلاً من البكاء والعيول أو الانجرار بغوغائية خلف الفتن والدخول في النفق الطويل دعونا نقرأ ونقلب صفحات كتاب حياة الأمة اليوم لنضع يدنا على الجرح ولعلنا لا نختلف بأن الداء الأكبر الذي ابتليت به أمتنا هو انتشار الفتن بين أبنائها والتناحر والتجزئة والتمزق بين أعضاء جسدها فليس بلاء الأمة الفقر والجوع فأراضيها من أغنى الأراضي في العالم وثرواتها تقارب ثلاثة أرباع ثروات المعمورة لكن الداء الأول الذي لازمنا عبر حقبة كثيرة هو داء الفتن والعنصرية وإقصاء الفكر الآخر وما هذا إلا نتيجة لجهلنا وإتباعها لأهوائنا وبالتالي قبل أن نرفع شعارات المقاومة والجهاد ضد أعداء الأمة من جهة وقبل أن نهول خلف التعايش والحوار والتفاوض معدونا من جهة أخرى لابد لنا من جولات حوارية بينية بين شعوب الأمة على اختلاف فرقها وانتماءاتها ومذاهبها واتجاهاتها الفكرية أو السياسية أو نحو ذلك وهذا ما تقره بديهيات المنطق فكيف لنا أن نحارب عدونا ونحن ممزقين متشرذمين تنهش الفتن والأحقاد جسدنا الواحد وكيف لنا أن نحاور الغرب ونتعايش معه ونحن نرى اليوم ما آل إليه وضعنا بعد استئثار الفتن وسريانها فيه الأمر الذي أدى إلى حروب طائفية ومذهبية بين أبناء الأمة الواحدة أفقدتنا أسمى معنى أضفاه الإسلام على متبعية إلا وهو الأخوة تحت رايته "إنما المؤمنون إخوة" وبالتالي أي معركة أو حوار مع الغرب اليوم لن تكون فيه كفتا الطرفين متزنة ولن يكون إلا مزيد من الإملاءات والتدخلات الأجنبية في شئوننا ففي الوقت الذي نرى فيه أعداء الأمة قد تجمعوا واتحدوا

رغم عميق خلافاتهم التاريخية الضاربة في الجذور سواء بين المسيحيين أنفسهم أم بين اليهود والمسيحيين اللذين نجدهم قد تناسوا وترفعوا فوق كل حروبهم وانقساماتهم السابقة في هذا الوضع الدولي اليوم بينما نجد على الطرف الآخر المسلمين والعرب قد تناسوا كل الروابط والوشائج الوثيقة والقوية التي تربطهم وتشدهم إلى بعضهم منذ مئات بل آلاف السنين عاش السنة والشيعية في الوطن الإسلامي الكبير منذ آلاف السنين جنباً إلى جنب في منطقة واحدة أو حي واحد نعم في بيت واحد فتاريخنا مشترك وفيه أخوة وتعايش ومصاهرات وهناك عشائر عراقية مختلطة من السنة والشيعية فهم أبناء عم وهذا لا يخفي على أحد .

وعندما نريد أن نتكلم عن السنة والشيعية فلا بد من استحضار النموذج العراقي ليس فقط لأن العراق هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي يتناصف سكانها بين الفريقين وإنما لأن هذا البلد كان مفتاح ما راه ونسمعه اليوم من صدامات وخلافات واشتباكات لكن الفريقين الإسلاميين في العراق منذ ١٣٠٠ عام فهل اليوم اكتشفنا أننا سنة وشيعية وهل اليوم استنبطنا عميق الخلافات بيننا إلى حد الذي وصل بنا إلى عدم القدرة على التعايش في منطقة واحدة وهل اليوم وجدنا أن السنة هم العدو الأول للشيعية وأن الشيعية هم العدو الأول للسنة لماذا لم يقيم السنة بحملات تصفية ضد الشيعية أو لم يقيم الشيعية بحملات السنة منذ مئات السنين المنصرمة التي كانوا فيها جواراً لماذا قبل خمس سنوات فقط كان أعمام العراقي من السنة وأحواله من الشيعية أو العكس بينما اليوم سمعنا من يحرم

زواج احد الفريقين من الآخر لماذا منذ خمس سنوات بدأت كل الفتن والمشاكل  
بيننا أليس الغزو الصليبي للعراق هو السبب !!؟  
أعتقد أن ذلك صحيحاً فالأمريكان وأعوانهم جاءوا للعراق ليس لنشر  
الديمقراطية والتقدم وإحلال الحرية وتوحيد العراقيين تحت راية الإسلام  
لكنهم جاءوا من أجل الفتنة التي هي أشد من القتل ورغم أن السنة والشيعة في  
العراق بوعيهم استطاعوا أن يسمو فوق كل الدسائس بينهم طوال السنوات  
الثلاثة الأولى للغزو لكن الفتنة وجدت طريقها واستشرت في الجسد الواحد بعد  
تفجير مرقد الأئمة في سامراء ومعروف أن سامراء ليس بها كثير من الشيعة  
ربما قلة من الشيعة ومعظم أبنائها هم من السنة فالسنة هم الذين حافظوا على  
مرقد الإمامين خلال قرون وبالتالي لا يمكن لمسلم أن يفجر دوراً يذكر فيها اسم  
الله حتى لو كانت صوامع وكنائس فكيف بمرقد مقدسة وبالتالي انطلت مكيدة  
العدو علينا والموساد الإسرائيلي الذي نفذ الجريمة قد وصل لما أراد وانجر  
الأخوة إلى النفق المجهول .

فالفتنة وليدة حال سياسية وأيدلوجية معينة وليست أصلاً ولا أساساً ولعل أبرز  
دليل على ذلك أن آخر التقارير الاستخبارتية في مراكز البحث الأمريكية تؤكد  
كلها أن النفوذ الأمريكي بدأ ينحسر في " الشرق الأوسط" بعد الهزيمة في العراق  
وفشل الحصار على سوريا وأن وضع "إسرائيل" سيكون مهدداً مستقبلاً إن استمر  
حزب الله في النمو وتطرح هذه الأبحاث الحل لذلك وهو تفتيت المنطقة وزرع  
الخلافت الطائفية والمذهبية فيها وإدخالها في نفق الحروب الأهلية وبالتالي  
تستمر الهيمنة وتكون الولايات المتحدة كالحكم بيننا فهم جربوا الديمقراطية

فاعترفوا بلسانهم بأنها جلبت أعداءهم للحكم فلم يبق لديهم بعد فشل الخيار العسكري في العراق والديمقراطي في فلسطين سوى تقسيم المنطقة وإشغالها بالفتن والصدامات المذهبية والطائفية.

إن من البديهي القول بأن الصرع الواقع اليوم هو من صنيع أعداء الإسلام وأعداء السلام في العالم .

إن الحفاظ على العراق على وحدة العراق كدولة وبلد وعلى وحدة المجتمع العراقي إنما يكون في ظل الحفاظ على أمتن العلائق والروابط بين السنة والشيعة والسؤال المطروح الآن : لماذا خضعنا لدسائسهم وحولنا المعركة بين الإسلام وأعدائه إلى معركة بين المسلمين أنفسهم... نريد حلف إسلامي سني شيعي يواجه الحلف الصهيوني/الأمريكي ولا بد من التذكير بأن نقطة الالتقاء الأولى بين كل الفرق والمذاهب الإسلامية هي الإسلام ومظلة الإسلام يستظل بها الجميع كل من يشهد لا إله إلا الله محمد رسول الله فهذا مسلم وفي الحقيقة ينضوي تحت خيمة الإسلام.... قال رسول الله صلى وسلم "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله ."

فما نسمعه من الرئيس بوش عن الإسلام "الراديكالي" وعن الإسلام "الفاشي" وعن الحرب الصليبية وما إلى ذلك يؤيد ذلك الكلام .

إن على المسلمين أن يفهموا أنه ليست مشكلة السنة هم الشيعة وليست مشكلة الشيعة هم السنة وإنما المشكلة أولاً وثانياً وثالثاً هي مشكلة الإسلام أمام الإدارة الأمريكية وحلفائها والتي يسيطر عليها اللوبي الصهيوني من جهة .

والمحافظون الجدد من جهة أخرى ويجب أن نكون جميعاً متفقين على مبدأ ثابت وهو أنه لا يهمننا أبداً أن يتسن الشيوعي أو يتشيع السني ويجب محاربة أي هيئات منظمة تسعى لذلك فالفكر حرية شخصية وكل إنسان سيحاسبه الله على الفكر الذي تقمصه أما نحن فشأننا الوحيد هو الإخلاص في السعي لتوحيد الأمة وإعلاء رايته ومقاومة كل .. فلنرجع لقوله تعالى : " إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" .

### العداء الغربي للإسلام

وفي هذا الإطار لا نبالغ إذا قلنا إن تاريخ الإسلام قد كان سلسلة من التحديات وخاصة التي جاءت من أوروبا والغرب عامة بل إنه قبل عشرة قرون من ظهور الإسلام وبالتحديد في القرن الرابع من قبل الميلاد ونجح الغرب الإغريقي في فرض سيطرته على الشرق في الغزوة التي انتصر فيها الإسكندر الأكبر على الفرس في موقعة أيسوس سنة ٣٣٣ قبل الميلاد.... ولقد امتدت سيطرة الإغريق والبطالمة والبيزنطيين على أقطار الشرق حتى ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي فقاد المسلمون عبر نحو قرن من الزمان فتوحات التحرير التي أزاحت هذه الموجة الغربية عن كاهل هذه الأقطار وشعوبها ولكن القسطنطينية عاصمة الدول البيزنطية استمرت منذ هرقل وحتى تم فتحها على يد السلطان العثماني محمد الفاتح تجيش الجيوش ضد الحدود والأطراف والولايات الإسلامية وتغذي دسائس الخيانة في أوساط الأقليات ولم يكن إسهام الغرب الأوروبي في سلسلة هذه التحديات بأقل من إسهام الإمبراطورية البيزنطية الشرقية فلقد قادت البابوية من جنوبي فرنسا أمراء الإقطاع الأوروبي في سلسلة الحملات الصليبية التي مولتها المدن التجارية الأوروبية والتي شاركت فيها كل الشعوب

الأوروبية فأقاموا الدول والإمارات الاستيطانية في قلب العالم الإسلامي وخاصة في فلسطين والشام على امتداد قرنين من الزمان وبالتحديد من ١٠٩٦ ميلادية حتى ١٢٩١ الموافق ٤٨٩ هجرية إلى ٦٩٠ هـ.  
عداء متصل :

فلم يتورع الغرب إبان تلك الحروب الصليبية عن التحالف مع التتار الوثنيين ضد الإسلام وأمتة فجاءت حملات الدمار التتيرية لتجتاح العراق والشام وفلسطين بتخطيط وتنسيق مع الكاثوليكية الغربية ولم يوقف دمارهم الذي هدد الوجود الإسلامي إلا الانتصار الذي أحرزه المسلمون في "عين جالوت عام ٦٥٨ هجرية - ١٢٦٠" ميلادية بقيادة المماليك المصريين فلما طوت انتصارات الفروسية الإسلامية صفحات قرني الحروب الصليبية وجذب الإسلام التتار إلى التدين به زاد سعار الغرب وتصاعد عداؤه للإسلام وأمتة وخاصة بعد فتح القسطنطينية ودخول الإسلام أرض البلقان في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي فبدأ الغرب في مسلسل هذه التحديات وأهمها "غزوة القرون الخمسة" التي استهدف منها الالتفاف حول عالم الإسلام بعد اقتحام الإسلام لقلب أوروبا تمهيداً لضرب قلبه وهو العالم العربي من جديد .

### حلقة التحديات :

أن بداية حلقة التحديات هي نجاح الغرب الأوروبي في اقتلاع الإسلام من الأندلس بإسقاط "غرناطة" في يناير ١٤٩٢ وهو الحدث الذي احتفل به الغرب منذ أعوام قليلة عندما أقاموا الدورة الأولمبية في برشلونة بأسبانيا في عام ١٩٩٢ احتفالاً بمرور ٥٠٠ سنة على هذا الحدث الذي بدأت بع غزوة الخمسمائة عان والمستمرة حتى هذه الأيام .

وفي نفس توقيت الاحتفال بسقوط غرناطة كان الصرب في البوسنة والهرسك يعلنون بلسان وزير الإعلام الصربي إنهم طلائع الحروب الصليبية الجديدة ضد الإسلام والمسلمين وكانت الأهداف الأربعة للتحديات والمؤامرات الغربية ضد العالم الإسلامي تستهدف أربعة أهداف كبرى هي : نهب الثروة واحتلال الأرض وتغريب العقول وكسر شوكة الإسلام .

### خطة التطويق :

فخطة تطويق العالم الإسلامي ليست وليدة اليوم بل إنها بدأت منذ سقوط الأندلس حتى إن الأسباب بعد شهر واحد من سقوط غرناطة جهزوا أسطولا لكريستوف كولومبس ، للذهاب إلى جزر الهند الشرقية الإسلامية دورانا حول أفريقيا فلما ضل كولومبس الطريق وذهب لأريكا نهض البرتغاليون بنفس المهمة بعد خمس سنوات حيث وصل "فاسكو دي جاما" إلى رأس الرجاء الصالح مكتشفاً طريق الالتفاف الأوروبي حول عالم الإسلام عام ١٤٩٧ وبعد سنوات قليلة في عام ١٥٠٤ حقق البرتغاليون أول انتصاراتهم فوق الساحل الهندي ضد جيش المماليك الذي خرج من مصر لمجابهة هذا التطويق وبعد سنوات قليلة كان البرتغاليون بقيادة "ماجلان" يقتلون المسلمين في حروبهم في الفلبين وتحولت من الإسلام للمسيحية حتى إنه تم تحويل عاصمتها من "أمان الله" إلى "مانيلا" والغريب أن كثيراً من كتبنا المدرسية تمجد ماجلان كمكتشف جغرافي بارع وتجاهلت حروبه ضد مسلمي الفلبين خلال حرب صليبية .

### مواقف معادية :

ولعل أبرز دليل على ذلك ما قاله الرئيس الأمريكي الأسبق "ريتشارد نيكسون في كتابه الفرصة السانحة" بأن على الغرب مساعدة التيار العلماني في الدول

الإسلامية في مواجهة تيارى الرجعية والأصولية الإسلامية بل إنه يدعو المسلمين إلى الأخذ بنموذج تركيا في انحيازها نحو الغرب المتخضر من الناحية السياسية والاقتصادية لأن في هذا مصلحتهم ومصلحتنا وأن أكثر ما يهم الغرب في الشرق الأوسط هو البترول وإسرائيل وأن التزامنا نحو إسرائيل عميق جداً فنحن لسنا مجرد حلفاء ولكننا مرتبطون معهم ارتباطاً أخلاقياً ولن نستطيع أي رئيس أمريكي أو كونجرس أن يسمح بتدمير إسرائيل وأن الكثير من الأمريكيين قد أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء وقليل من الأمريكيين يدركون مدى عراقية العالم الإسلامي .

إنهم يذكرون فقط أن سيوف محمد وأتباعه هي السبب في انتشار الإسلام في آسيا وأفريقيا وحتى أوروبا وينظرون بارتياح إلى الحروب الدينية في المنطقة ويتصور كثير من الأمريكيين أن المسلمين شعوب غير متحضرة ودمويون وغير منطقيين وأن سبب اهتمامنا بهم هو أن بعض زعمائهم يسيطرون بالمصادقة على بعض الأماكن التي تحوي ثلثي البترول الموجود في العالم .

### حروب صليبية

وهناك أدلة دامغة تؤكد أن حروب الغرب ضد العالم الإسلامي طوال القرون الخمسة الاستعمارية كانت في منبعها صليبية تسعى لتحقيق مصالح سياسية واقتصادية واجتماعية بدليل أن الجنرال الفرنسي "جورو" بعد احتلاله لدمشق اقتحم قبر صلاح الدين الأيوبي وركله بقدمه قائلاً "ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين " واكتملت المؤامرة حينما قال الجنرال الانجليزي "النبى" عندما احتل القدس "الآن انتهت الحروب الصليبية " وقد كرر الرئيس بوش أنه يقود حرباً

صليبية جديدة ضد العالم الإسلامي وأنه يسعى لتحقيق نبوءات توراتية ومخططات صهيونية.

وتحظي خطط التنصير في العالم الإسلامي بميزانيات ضخمة من الحكومات ومن يشك في ذلك عليه أن يقرأ قرارات مؤتمرات التنصير وأهمها "مؤتمر كلورادو" الذي تم تنظيمه في الذكرى الثلاثين لتأسيس إسرائيل أي في ١٥ مايو ١٩٧٨ وأعلن المسيحيون والصهاينة اتحادهم ضد ورغبتهم في تنصيرنا أو إبادتنا إن لم يستطيعوا ذلك .

### دعاوي غربية :

وفي سبيلهم لتحقيق مخططاتهم يثيرون الدعاوي المنظمة ضد الإسلام ومن ضمن هذه المخططات الخبيثة التي تدبر ضد الإسلام اتهامه بانتهاك حقوق المرأة والتفريق بينها وبين الرجل في الميراث والشهادة والدعوة إلى تعدد الزوجات وهو ما يتخذ كذريعة لتشويه صورة الإسلام وهذه الافتراءات المنتشرة في الغرب التي تشوه صورة المرأة تعود إلى الدعاية الصهيونية المغرضة إلى جانب جهل الغرب بحقيقة الإسلام الذي سبق كل القوانين والأعراف في إعطاء المرأة كل حقوقنا بدءاً اختيار شريك حياتها ومروراً بالتعليم وإدارة شؤون بيتها والميراث والقضاء فضلاً عن حقوقها السياسية والاجتماعية بالإضافة إلى استقلال الذمة المالية أي حرية التصرف في أموالها وحق الاحتفاظ باسم العائلة وهو ما لم تحصل عليه المرأة الأوروبية حتى الآن وبالنسبة لتعدد الزوجات فقد شرع لحكمة ووفقاً لضوابط منها القضاء على العنوسة وفاة الرجال في الحروب وغيرها كما حدد الإسلام التعدد بالقدرة على الإنفاق والعدل أما بالنسبة لشهادة المرأة في

القضايا وكونها لا تتم إلا بشهادة امرأتين معاً بما يعادل شهادة رجل واحدة فهذا في حالات محددة وهناك حالات يؤخذ فيها بشهادة المرأة الواحدة .

والإسلام وازن بين حقوق المرأة وواجباتها وفقاً لطبيعتها البيولوجية والنفسية وأعتقد أنه بشهادة بعض المستشرقين المنصفين فإن الإسلام أعطى المرأة ما لم تعطه لها القوانين الوضعية في هذه الأيام أما بالنسبة لتدني وضع المرأة المسلمة وزيادة نسبة الأمية لديها فيرجع إلى الجهل بتعاليم الإسلام السمحة وانتشار "الخزعبلات" والتقاليد البالية التي ترى في المرأة شيطانياً يجب حبسه أو الاحتراس منه وأنها مسئولة عن كل المصائب التي تقع وفي حقيقة الأمر فإن تعنت الرجال المسلمين مرده سوء فهم للقرآن والسنة النبوية فالرسول أوصى المسلمين بالنساء خيراً في أحاديثه الشريفة : "خيركم خيركم لأهله" واستوصوا بالنساء خيراً ، ولو تم تطبيق تعاليم الدين الإسلامي وإعطاء المرأة حقوقها التي نصت عليها الشريعة الإسلامية - كما كانت في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة أجمعين - لأصبحت الآن مجتمعاتنا من أكثر الدول تقدماً .

المرأة قبل الإسلام كانت لا تملك شيئاً ولم يكن هناك مساواة بينهما وبين الرجل فنزلت الآيات القرآنية "الرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ما قل منه أو أكثر نصيباً مفروضاً " وكذلك في الآيات الخاصة بالميراث أعطي للمرأة حق الوصية والتداين ولكن هناك مفهوم خاطئ وهو أن الرجل يرى أنه طالما المرأة غنية فلا بد أن تصرف ولكن أنا أقول هنا إنه تسقط قوامته وكذلك عندما أوجب الله للمرأة نصف ميراث الرجل فإن ذلك لأنه أوجب عليه الإنفاق في أمور لم يوجبها على المرأة وهو الإنفاق على المرأة

والأسرة فعليه أن يعيشها في نفس مستوى أسرتها ولو كانت تخدم في أسرتها  
يأتي لها بخادم ويدفع أجره الخادم .

## تقليد الغرب

وللأسف الشديد تحت دعاوى التحرر والمساواة بين الرجل والمرأة حدث في بعض  
المنظمات النسائية والمؤتمرات الدولية مع ان المتوقع حدوثه العكس أن سعوا  
بتقليد الغرب فالإسلام كرم المرأة بعدما كانت مجرد جارية وألغي بعض  
العادات الجاهلية ومنها "وأد البنات" وغيرها مما رفع عنها الظلم والاضطهاد  
أما ما يحدث الآن من دعاوى التحرر والمساواة في كل شئ وإذابة الفوارق الفطرية  
بين المرأة والرجل فهذا يتعارض مع تعاليم الإسلام وضد ما نريده من مساواة في  
القيمة والحقوق الإنسانية مع احتفاظ كل من الرجل والمرأة بخصائصها الفطرية  
التي خلق كل منهما عليها لكي يقوم بالدور الذي أوكل له في الحياة فالرجل  
والمرأة كلاهما يحتاج للآخر ولا يعيش دونه والعلاقة بينهما علاقة تكامل  
وتفاهم وحب وسكن وليست صراعاً وجدالاً أو حرباً الطرفين يحاول كلاهما  
إحراز النصر.

## مغالطة مفضوحة :

فالزج باسم الإسلام في ظاهرة العنف المتنامي ضد المرأة في عالمنا العربي  
والإسلامي من باب المغالطات المفضوحة التي لا يقبلها عقل ولا دين فظاهرة  
العدوان على المرأة تتنامي وترتفع معدلاتها في كل المجتمعات .  
وأنا أسأل الذين يخلطون الأوراق ويزجون باسم الإسلام في هذه الظاهرة المرفوضة  
شرعاً وقانوناً وعرفاً إذا كان المسلمون يضربون زوجاتهم لأن القرآن أباح الضرب  
والرسول صلى الله عليه وسلم أقره... فلماذا يضرب الأمريكيون والبريطانيون

والإيطاليون والفرنسيون وغيرهم من الأوروبيين زوجاتهم فهل هم يطبقون  
تعاليم الإسلام ويضربون زوجاتهم استجابة للقرآن والتزاماً بما قال به الرسول  
صلى الله عليه وسلم !!!

كما أن إباحة الإسلام ضرب الزوجة في حالات استثنائية جداً وبالضوابط  
الشرعية التي حددها العلماء ولا تعني أن الإسلام أهدر حقوق المرأة وأعطى  
للرجل فرصة للعدوان عليها كما يردد الذين يخلطون الأوراق ويتناولون على  
شرع الله دون سند أو دليل فالضرب بحدوده وضوابطه الشرعية لا يعني الإيذاء  
البدني للمرأة بل هو مجرد تعبير رمزي عن غضب الزوج وعدم رضاه عن سلوك  
زوجته وقد حصر بعض الفقهاء الضرب في حالتين فقط .

الأولى عندما ترفض الزوجة الاستجابة لزوجها وتحرمه من حقوقه الشرعية  
دون عذر ودون سبب وتصر على موقفها .

والثانية : عندما تدخل بيته ما لا يطمئن له من غير محامها حيث تكون الربية  
والشك في سلوك الزوجة .

ومن واقع خبرتي ومعايشتي لمشكلات كثير من الأسر فإنني أؤكد أن الضرب  
يأتي بثماره في كثير من الأحوال ويردع نوعية معينة من الزوجات المدلات  
ويصرفهن عن تمردهن ويغير كثيراً من أسلوبهن في التعامل مع أزواجهن ومع  
ذلك نحن لا نقر الضرب غير المبرر وغير المنضبط بالضوابط الشرعية ولا ننصح  
بالضرب عموماً بل ننصح بالحوار والتفاهم ويكفي أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قد قال " ولا يضرب خياركم " .

**التقليد الأعمى :**

فلأسف الشديد تنظر بعض النساء إلى المرأة الغربية باعتبارها نموذجاً للتحرر  
وتسعى إلى تقليدها وهذه نظرة خاطئة وقاصرة بالطبع فنحن سبقنا الحضارة  
الغربية في إعطاء المرأة حقوقها منذ أن نزل القرآن على محمد صلي الله عليه  
وسلم ورفع عن المرأة الظلم والاضطهاد الذي كانت تعاني منه في العصر الجاهلي  
قبل الإسلامي.

أما التحرر فنحن لا نريد التحرر بمعنى الانحلال كما إننا لا نسعى للمساواة  
بمعنى إذابة الفوارق الفطرية بين المرأة والرجل لكننا نريد المساواة في القيمة  
والحقوق الإنسانية... المساواة في التكريم الإنساني للمرأة والرجل على حد سواء  
مع احتفاظ كل منا بخصائصه الفطرية التي خلق عليها لكي يقوم بالدور الذي  
أوكل إليه في الحياة .

### حدود الحرية :

فالحرية ليست مطلقة ولكن لها ضوابط فالحرية المنفلتة تأتي بالفساد واغتصاب  
معنى الحرية .

إن يعرف الإنسان ما له وما عليه فبالتالي ذلك لا يعني حرية الرأي لأن هناك  
ثوابت والله سبحانه وتعالى شرع الأحكام بما هو عالم بشئون خلقه واستعدادهم  
فالبعض يقول إن هذا القماش الذي يغطي شعر المرأة هذه هي المشكلة هذا ليس  
هو الأمر بل هو امتثال وطاعة ربنا أمرنا وسمعنا واطعنا ثم هناك آيات نزلت في  
الحجاب في سورة النور التي تبدأ : "سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات  
بينات لعلكم تذكرون" ..لماذا هكذا بدأت لأنه سبحانه وتعالى يعلم أنه ستكون  
معارضة وعدم التزام للأحكام .

### وجوب الوحدة

من هنا نقول إنه في ظل هذه الحملة الشرسة ضد الإسلام والمسلمين ومحاولة اقتلاع الإسلام من جذوره فلا سبيل أمامنا إلا توحيد المسلمين في مواجهة هذه التحديات فهذا أمر ضروري وهام الآن فالأمة الإسلامية هي الأمة التي وصفها الله تعالى بأنها خير أمة أخرجت للناس في قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) فهذه الآية الكريمة فيها تكريم للأمة الإسلامية، وفيها تكليف بالإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلها

شروطاً للخيرية. وفيها نقد لأهل الكتاب وإخبار للمسلمين بما وقعوا فيه من الاختلاف حيث كان منهم المؤمنون وكان أكثرهم فاسقين. هذه الأمة التي اختارها الله لتكون خير أمة أخرجت للناس يجب أن تكون أمة واحدة لقوله سبحانه: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون). وآيات أخرى كثيرة. ووجوب وحدة هذه الأمة يرجع إلى أن إلهها واحد وأصلها واحد ونبينا واحد ودينها واحد.

وقد تأسست هذه الأمة على مبدأ الوحدة متزاوجاً مع مبدأ التعددية. ولا تناقض أو تضارب بين المبدأين. فمظلة الإسلام واسعة تحتوي كل الأعراق والألوان والألسن. بل إن مظلة الإسلام تحتوي بظلمتها المسلمين وغير المسلمين في المجتمع الواحد.

بهذا المزج المتفرد بين الوحدة والتعددية نشأت الحضارة الإسلامية وامتدت الدولة الإسلامية من الصين شرقاً إلى فرنسا وإسبانيا غرباً، ومن سيبيريا شمالاً

إلى جنوب آسيا وأفريقيا في جنوب المعمورة. وأثرت هذه التعددية في إطار الوحدة الحضارة الإسلامية وقدمت للحضارة الإنسانية زادا لا ينفد. غير أن المد الحضاري للأمة الإسلامية أخذ في الانحسار بضعف الدولة الإسلامية وتآكل أطرافها وعجز مراكز القوة فيها. وتزامن انحسار الدولة الإسلامية مع بروغ الحضارة المادية الغربية التي سادت العالم منذ عدة قرون حتى الآن. وتحولت الأمة الإسلامية من القوة للضعف وانتقلت من مركز القيادة إلى مركز الانقياد. ونزحت ثرواتها لتصب في شرايين الدول الاستعمارية الغربية. ولكن هذا الحال لم يكن قدرا مقدورا بل كان لابد من أن تفيق الأمة وأن يسعى المخلصون من أبنائها لتخليصها من أدوائها حتى تستطيع أن تقف في وجه أعدائها. ولن يكون ذلك إلا بالعودة إلى منابعها الأصيلة ومناهجها القويمية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وتحقيق هذا الهدف يقتضي تضافر أفكار وجهود المخلصين من أبنائها من علماء وسياسيين وتربويين ومثقفين وإعلاميين وفقاً لمنظومة للنهضة تحيي الهمم وتستنفر العزائم وتجلو العقول وتوحد الصفوف. من هنا فإن دور المؤسسات العلمية والتربوية والإعلامية في إشاعة روح التقريب والتآلف وتأصيل وتنمية روح الوحدة دور هام وحيوي.

## الأصل للوحدة

جمع الإسلام في بنائه للأمة الإسلامية جمعاً فريداً معجزاً بين أصلين هما الوحدة والتعدد. فهذان الأصلان يبدوان متناقضين. والحقيقة أن تمازج الوحدة والتعدد أو التنوع هو وجه من وجوه الإعجاز الإلهي. فالأصل في الإنسان هو

الوحدة والتعدد في الوقت ذاته. ولننظر إلى مصداق ذلك في قوله سبحانه وتعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً). فالأصل في البشرية آدم الذي خلقه الله من تراب ومن آدم جاءت حواء.

ومن لقاء آدم وحواء كان الرجال والنساء والشعوب والقبائل ذات الألوان والألسنة المختلفة. يقول الله سبحانه: يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

ويقول عز وجل مؤكداً أن هذا الاختلاف آية من آياته في الكون: (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم). وقال عز ثناؤه: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين...). ويقول جل شأنه: وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون). وتتعدد الآيات الكريمة التي تثبت هذا المعنى .

## الوحدة والتعدد

ويقول سبحانه: (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أو توه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم).

فإذا انتقلنا من هذا الإطار العام الشامل للإنسانية كلها لنطبقه على الأمة الإسلامية فسوف نجده منصوصاً عليه بوضوح لا يقبل الغموض أو اللبس،

ومؤكداً تأكيداً لا يقبل النفي أو المراجعة . ولا عجب في ذلك فإن النص على وحدة الأمة جاء صريحاً وقاطعاً في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون). وفي قوله عزوجل) : وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون). وفي قوله جل شأنه: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله).

ولأن الله تعالى هو العليم بخلقه فقد دعا المؤمنين إلى الوحدة ونهى عن التفرق. وليس من سبيل لوحدة المسلمين إلا التمسك بدين الله القويم وحبله المتين. فقال سبحانه: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إن كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم).

وقال عزوجل: (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وحذر من مغبة الفرقة والتشردم في قوله: (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون). وحذر النبي(ص) المسلمين من الاختلاف والفرقة التي تجعلهم كغشاء السيل وتغرى بهم الأمم وتنزع مهابتهم من قلوب أعدائهم.

وقد كان التنوع في إطار الوحدة أمراً طبيعياً بل ضرورياً. فإن الدين الذي اختاره

الله وارتضاه لعباده هو الإسلام لقوله تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام وما  
اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم). وقوله جل  
شأنه: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من  
الخاسرين). وقوله: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت  
لكم الإسلام ديناً). هذا الدين عام شامل يشمل العرب وغير العرب. ويمتد  
من زمان نزول القرآن بامتداد الحياة البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن  
عليها. ومن ثم فإن هذا الدين يستوعب كل الأجناس والأعراق والألوان واللغات  
واللهجات لقول الله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم  
شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير). ولقول  
النبي(ص) في خطبة الوداع: «إن إلهكم واحد وإن أباكم واحد. كلكم لآدم. وآدم  
من تراب».

وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على  
أسود إلا بالتقوى.»

وفقاً لهذا المبدأ الحكيم – مبدأ التعددية في إطار الوحدة – دخلت الشعوب  
والقبائل في دين الله افواجاً. وبدأت الفتوحات الإسلامية في عهد الرسول(ص)  
وامتدت أجيالاً طويلة بعد لحاقه بالرقيق الأعلى. وكان لذلك أثره في ثراء وتألق  
الحضارة الإسلامية التي صهرت الشعوب المختلفة في بوتقة واحدة هي بوتقة  
الأمة الواحدة التي تدين بدين واحد .

منشأ الخلاف وثمراته

بعد عصر النبوة ثم عصور الخلفاء الراشدين وقعت أحداث وتمت تحولات عديدة. يهمننا منها هنا أمران كان لهما من مزايا وكان فيهما ما فيهما من عيوب دفعت الأمة ثمنها:

الأمر الأول نشأة المدارس الفقهية التي تحولت إلى مذاهب. والأمر الثاني الخلافات السياسية وما ارتبط بها وترتب عليها من انشقاق مذهبي أدى إلى نشوء مذاهب مختلفة داخل الإسلام وطوائف داخل الأمة الإسلامية.

والناظر في تاريخ الإسلام والشعوب ومن بينها الأمة الإسلامية يجد أن الاختلاف في الآراء والأحكام ظاهرة طبيعية وأمر مألوف بل ولازم في كل تشريع يتخذ من أعمال الناس وعاداتهم مصدرا له ومن آرائهم وأفكارهم مستمدا له وسندا. ذلك لأن عادات الناس مختلفة وأغراضهم متعددة وأعمالهم متنوعة وآراءهم متباينة وأحيانا تكون متعارضة ومتناقضة وأنظارهم متباينة.

وتلك فطرة الله التي فطر الناس عليها. يقول سبحانه وتعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه فأحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون).

ولذا كانت جميع الشرائع الوضعية - ولا تزال - محلا للخلاف ومثارا للجدل

والنقاش لأنها من وضع الناس ومن نتاج أفكارهم في سبيل ما يبتغون من مصالح  
تختلف باختلافهم نظرا وغرضا وبيئة وزمنا.

## خلاف وتنوع

وقد خلصت من ذلك الشريعة الإسلامية أيام كان الرسول(ص) يبلغها ويقوم  
على بيانها والفصل بين الناس بأحكامها. وذلك إذ كانت وحيا إلهياً ينزله الله  
عليه ليحكم به بين الناس أو اجتهادا منه يقره الله عليه. وما كان من عند الله  
فلا خلاف فيه فإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الحكيم: (أفلا يتدبرون  
القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا. أما بعد وفاته(ص)  
وانقطاع الوحي فقد اضطر خلفاؤه ومن كان معهم من الصحابة ومن جاء بعدهم  
من المفتين والقضاة والفقهاء إلى أن يطبقوا ما حفظوه على اختلاف الألوان وتباين  
الظروف وتباعد المواطن. وذلك إنما يقوم على النظر والموازنة بين ما حدث في  
زمن الرسالة وما حدث بعدها، والتحقق من وجود المماثلة بين الحوادث  
السابقة والحوادث اللاحقة واشترакها في مناط الأحكام وعللها بعد معرفتها أو  
انتهائها. ثم البحث عن المقتضيات والموانع، وعن معاني النصوص وما يراد  
بها، وصلة بعضها ببعض بيانا وإطلاقا وتقييدا وتخصيضا وتعميما ونسخاً.  
وتلك الأمور تختلف فيها الأنظار. فنشأ بسبب ذلك الخلاف والتنوع، فمنه  
خلاف في الوقائع السابقة وظروفها وتحقيق مناط الأحكام النازلة فيها، وعقد  
وجوه المماثلة بينها وبين ما استجد من الحوادث. ومنه خلاف فيما نقل من  
أحكامها وما صح نقله منها وما لم يصح وما استقر عليه الأمر وما لم يستقر.  
ومنه خلاف في تعرف مناط الأحكام النازلة، وماله من شروط وما يعرض له من  
موانع. ومنه خلاف في اتخاذ تلك المماثلة أساساً شرعياً تتعدى بها الأحكام إلى

غير محالها النازلة فيها، وفي ربط تلك الأحكام بما استنبط من عللها وحكمها وعدم ربطها.

وإذا لاحظنا مع هذا أن أساس التشريع إنما هو ابتغاء المصلحة التي ينشدها الناس على اختلافهم في الغرض منها، والغاية التي يطلبونها، وأن ذلك يقوم على مجهودهم الفكري ومقدرتهم الإنسانية ووزنهم البشري، وأن أساس التشريع الإسلامي يقوم أولاً على تفهم ما نزل من النصوص على رسول الله (ص) كتاباً كان أو سنة، بعد التحقق من صحة صدور تلك النصوص من الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالنسبة إلى السنة، وتمييز ما يجب العمل به منها وما لا يجب العمل به، والبحث فيها عن الحكم المطلوب حتى إذا تبين أن ليس فيها ما يدل عليه وجب النظر في المصلحة المقتضية للحكم وفي أية مصلحة تعتبر وأية مصلحة لا تعتبر.

## روح التشريع

وقد استتبع النظر في النصوص النظر في القياس والبحث عن روح التشريع الإسلامي واستنباط أصوله العامة من مختلف القواعد والأحكام ثم تطبيق ذلك على الحوادث. كما استتبع النظر في قول الصحابي ورأيه أيصلح تفسيراً وبياناً للنصوص أم لا يصلح. والنظر في العرف ومكانته من النصوص أيصلح تفسيراً أو بياناً لها أم لا يصلح. وفي أي عرف يجوز أن يعتبر وأي عرف لا يجوز أن يعتبر. إذا لاحظنا كل هذا يتبين لنا كيف تعددت أسباب الخلاف في الشريعة الإسلامية.

ولعل أول اختلاف في الرأي بعد وفاة الرسول(ص) - (فيما نعلم - كان بشأن مسألة الخلافة ومن يخلفه(ص) من أصحابه في ولاية أمر المسلمين . إذ اختلفوا فيمن تكون فيهم الخلافة أمن المهاجرين أم من الأنصار. ثم أتكون لواحد أم لأكثر. وفيمن يولاها من الأصحاب. وكان مرد اختلافهم هذا - كما يؤخذ مما روى - اختلافهم في أي الفريقين أحق بها لأنهم أعظم سابقة، وأرسخ قدماً في نصره دين الله، وأخرى أن ينظروا فيما يصلح المسلمين ويرشدهم إلى الطريق المستقيم.

وجد الخلاف إن بعد وفاة الرسول(ص) في الأحكام، ولا يزال إلى اليوم قائماً مادام الناس هم الناس بطبعائهم وأنظارهم وتقلبهم ومعايشهم وتعليمهم وتربيتهم وبيئتهم وأعرافهم.

## ظهور الطوائف

وكان من آثاره ظهور الطوائف الإسلامية والمذاهب المختلفة في الأحكام الشرعية. فمنها ما بقي إلى اليوم، ومنها ما اندثر ولم يبق منه إلا اسمه أو بعض آراء حفظتها لنا كتب الخلاف. (أسباب اختلاف الفقهاء للشيخ علي الخفيف، ص ١٢ وما بعدها).

وقد ارتبطت الاختلافات الفقهية بالخلافات السياسية مما خلق نوعاً من المذهبية الفقهية السياسية. ورغم أن الأمة الإسلامية قد عانت أشد المعاناة من هذه الخلافات فإنها استطاعت أن تتجاوزها في القرون الأولى. ولم تحل هذه المعاناة دون الفتوحات الإسلامية التي كونت دولة عظمى. ولم تحل دون انتشار

رسالة الإسلام سواء بطريق الفتح أو بطريق التجارة والقدوة السلوكية والتعاون بين الناس. ولم تحل دون مساهمة الأمة الإسلامية في بناء الحضارة الإنسانية وإثرائها في كافة المجالات.

ولكن سنة الله في الكون تقضي بعدم دوام الحال. ومن مقتضى هذا أن الأمة تكون في حالات مد وجزر وصعود وهبوط وبزوغ وأفول وانتصار وانكسار وسبحان من بيده مقاليد كل شيء. فقد انتقل المد الحضاري إلى الغرب الذي مازال بازغاً، في الوقت الذي تفككت فيه الأمة الإسلامية وتخلفت، وبعدت عن مناهلها الأصلية ومنابعها القومية. ومرت بأزمات وكوارث ليس لها منها عاصم إلا الله سبحانه وتعالى. وصار من واجب هذه الأمة أن تدرك جسامة الخطر المحدق بها سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعسكرياً واجتماعياً. ومن هنا تنادى دعاة الإصلاح محاولين رأب الصدع وإيقاظ الهمة واستثارة نخوة الأمة لإعادة الإسلام. وظهرت دعوات للتقريب بين المذاهب الفقهية ومحاولات للتنسيق السياسي والتعاون الاقتصادي .

## ضرورة التقريب

وكما كانت الفروق المذهبية والاختلافات الفقهية عوامل ضعف لهذه الأمة فيجب أن يكون التقريب بين المذاهب والحد من الخلافات الفقهية، خاصة في القضايا التي تمس وجود هذه الأمة وتؤثر في قدرتها ومكانتها، سبيلاً لاستعادة أسباب وحدتها وعناصر قوتها وعوامل نهضتها.

ويمكن أن نجمل أهمية وأسباب ضرورة نجاح هذه الجهود فيما يلي:

أولاً: إن الأمة الإسلامية قد وصلت إلى حالة مؤلمة من الضعف والهوان بسبب التمزق والاختلاف الذي يؤدي إلى الشقاق والنزاع الذي نهى عنه الإسلام وحذر منه. وتحتاج إلى التجمع والتوحد تحت راية الإسلام ممثلة في أصلية: كتاب الله وسنة رسوله (ص) لقول الله تعالى: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ((٢١)). وقول النبي (ص) «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي.»

ثانياً: إن التقريب بين المذاهب والابتعاد عن التعصب المذهبي يرجع في الأساس إلى أن هذه المذاهب ليست من أصل الدين ولم توجد ليعتنقها الناس، أو لكي تكون ملزمة لهم. بل وجدت على أنها آراء لأصحابها فيما عرض عليهم أو تعرضوا له من المسائل والمبادئ تتمثل فيها أفكارهم وأنظارتهم ويتبين منها حكمهم على الأشياء أو حكم الله في نظرهم. فالله سبحانه وتعالى لم يأمر المسلمين بالتمذهب بمذهب بعينه بل أمرهم بطاعة الله وطاعة الرسول وأولى الأمر بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً).

ثالثاً: إن وجود المذاهب المتميزة بأسمائها وأتباعها الذين ينتسبون لها، ولا يرون الحق إلا فيما ذهب إليه، ليس ضرورة حتمية لوجود الخلاف. بدليل أن الخلاف موجود فعلاً في إطار المذهب الواحد دون أن ينقسم المذهب إلى مذاهب متعددة تنتسب إلى أصحاب هذا الخلاف. من ذلك مثلاً ما نراه في مذهب أبي حنيفة حيث نرى اختلافاً كثيراً بينه وبين أصحابه أبي يوسف ومحمد

واختلافاً بين بعضهم مع بعض في كثير من المسائل دون أن ينقسم هذا المذهب إلى مذهب لأبي حنيفة ومذهب لأبي يوسف ومذهب لمحمد، وكذلك يلاحظ في غيره من المذاهب الأخرى.

رابعاً: أنه من المهم جداً لدراسة المذاهب الفقهية دراسة دقيقة عميقة محيطية بجميع نواحيها واتجاهاتها وموازنة بعضها ببعض وترجيح بعضها على البعض أن نرجع هذه المذاهب إلى أصولها، ونتبين إن كان بينها اختلاف في الأصول والمبادئ، أم ليس بينها اختلاف في الأصول والمبادئ فلا يكون هناك محل للإبقاء على التعصب والتنافر.

خامساً: أن بيان مواضع الاتفاق ومحاولة التقريب بين المذاهب التي في الأصل تشترك في الأصول والمبادئ والأدلة التي تستقى منها الأحكام الشرعية له أهميته العظمى وأثره القوي في جواز التلفيق بين الآراء من المذاهب المختلفة، والخروج منها برأي موحد مؤلف من رأيين أو أكثر، أو عدم جواز ذلك. لأن أصول الآراء إذا كانت مختلفة متعارضة لم يكن من المقبول التلفيق بينها بأخذ رأي في مسألة من المسائل يعتبر مزيجاً من جملة آراء تتعارض أصولها بعضها مع بعض. لأن كل أصل اعتمدت عليه في ناحية يستلزم بطلان ما أخذت به في الناحية الأخرى من المسألة. إذ لا يصح أن ترى الشيء الواحد في وقت واحد صحيحاً، باطلاً. فذلك لا يقبله عقل ولا يسوغه نظر. أما عند اتحاد الأصل فليس ثمة ما يمنع من ذلك.

سادساً: أننا كأمة إسلامية واحدة نحتاج إلى تطبيق آداب الخلاف فيما بيننا مبتعدين عن منهج التكفير أو التسفيه الذي يعطي لأعداء الإسلام الذخيرة

الحية التي يضربون بها مبادئ الاسلام التي تقوم على احترام الآخر وعلى الحجة والبرهان وحسن الظن بالمخالف، وتغليب جانب الأخوة في الله على كل اعتبار عملاً بمبدأ الوقاية خير من العلاج. ولنتذكر أن الأمم التي حلقت عالياً في آفاق التقدم هي الأمم التي أقرت التعددية واحترمت الخلاف وقبلت بالرأي الآخر في كل المجالات وإذا كانت التعددية في إطار الوحدة أصلاً في بناء الأمة الإسلامية فنحن بحاجة ملحة إلى العودة لهذا الأصل.

### مؤسسات المجتمع

التقريب بين المذاهب الفقهية والتيارات الثقافية والمؤسسات السياسية صار واجباً حتمياً في ظل الظروف التي تواجه الأمة كما أسلفنا. ودور العلماء دور قيادي فالعلماء هم ورثة الأنبياء. وهم مشاعل الهدى. ودعوات الإصلاح يجب أن تبدأ من عندهم. وهذه الدعوات لا يمكن أن تنطلق نحو مراميها وتحقق أهدافها بغير حشد شعبي يؤيدها ويعززها انطلاقاً من كونها واجباً دينياً هو مأمور به ومن كونها هي المحققة للخير والصلاح للمسلمين ولل البشرية كلها. من هنا تبدو أهمية البناء أو إذا شئنا الدقة في التعبير تبدو أهمية إعادة البناء الفكري للأمة الإسلامية. وهذه مهمة شاقة وعسيرة ولكنها حتمية، وبغيرها سوف يدهم الأمة الإسلامية قطار العولمة بتداعياته السياسية والاقتصادية والثقافية.

ولعل أهم مؤسسات في المجتمع الإسلامي يمكن أن يعول عليها في هذا الشأن هي المؤسسات العلمية والتربوية والتعليمية والإعلامية؛ لأنها هي المنوط بها بناء الشخصية وتكوين الوجدان وترشيد الرأي العام للأمة .

والملاحظات الأولية تبرز لأول وهلة على  
هذه المؤسسات هي:

أولاً: الإغراق في المحلية ونقص الاهتمام بالقضايا العربية والإسلامية سواء في  
المناهج التعليمية والتربوية أم في الأبحاث العلمية والبرامج الإعلامية.

ثانياً: غلبة الطابع العلماني على الكثير من مناهج التعليم بصفة عامة وعلى  
المحتوى الإعلامي على حساب الجوانب الروحية والدينية.

ثالثاً: الاهتمام بالنظريات العلمية والمستوردة وتجاهل النظريات والحقائق  
العلمية التي توصل لها العلماء المسلمون على مدى القرون الماضية.

رابعاً: الغياب الذي قد يصل في بعض الأحوال إلى حد التعقيم المقصود والمخطط  
على إنجازات البلاد الإسلامية لمجرد الاختلاف في المذهب الديني أو التوجه  
السياسي.

وإعادة البناء الفكري للأمة تقتضي تغيير هذا الواقع. وإذا كانت كل مؤسسات  
المجتمع تتحمل مسؤولية مشتركة عن ذلك فإن المؤسسات العلمية والتربوية  
والإعلامية تتحمل القدر الأكبر من المسؤولية. وفيما يلي بيان لدور كل  
مؤسسة:

### أولاً - المؤسسة العلمية والتربوية

تتحمل هذه المؤسسة بكل أجهزتها مهمة البناء الفكري للأجيال الجديدة التي  
تمثل أمل الأمة. وواجب هذه المؤسسة أن تقوم بدور حيوي في إعادة بناء فكر  
إسلامي ناهض يتجاوز حساسيات الواقع وعقده وأزماته. ويقف العلماء والمربون

في طليعة الصفوف التي تتحمل المسؤولية عن تحقيق هذه المهمة. ويقتضي تحقيق هذا الدور مايلي:

- العناية باللغة العربية كلغة تخاطب أولى أو ثانية حسب ظروف كل مجتمع إسلامي. ومحاربة دعوات تغليب اللهجات العربية المحلية التي تستهدف تحويل هذه اللهجات إلى لغات رسمية على حساب اللغة العربية الفصحى.

- العمل على توحيد مناهج التربية الدينية في مراحل التعليم الأولى لبناء وحدة الفكر وإزالة الاختلافات الطفيفة في بعض الشعائر والتي تتحول بعد ذلك إلى خلافات تفرق بين المسلمين.

- إعادة صياغة مناهج التاريخ الإسلامي وتنقيتها من كل ما قد يسيئ بشكل مباشر أو غير مباشر إلى آل بيت رسول الله أو خلفائه الراشدين أو صحابته الكرام. ووضع الأحداث التاريخية في سياقها الصحيح دون تجريح ودون إصدار أحكام متحيزة.

- بث روح التفاهم والحوار من خلال المناهج التعليمية والتركيز على عناصر وحدة الأمة الإسلامية والعوامل المشتركة بين شعوبها.

- إعادة النظر في مناهج دراسة الفقه على الجانبين السني والشيعة بهدف التقريب بين المذاهب.

- إعادة صياغة مناهج التربية على المستوى الجامعي لتربية الأجيال الجديدة على احترام الاختلاف والتعددية المذهبية في إطار الوحدة

الإسلامية بإعتبار الاختلاف سنة من سنن الكون، وأن التعايش بين المذاهب وأتباعها أولى وأوجب من التعايش مع الآخرين.

-تشجيع إجراء البحوث المشتركة وإنشاء المجامع العلمية المشتركة التي تضم علماء من كافة المذاهب وخاصة من أهل السنة والشيعنة لإجراء دراسات مشتركة في قضايا محددة. وتعميم نتائج هذه الدراسات.

وتنفيذ هذه التوصيات وغيرها يتطلب بلا شك قدراً كبيراً من الموضوعية والشجاعة ومغالبة النفس والتسامي على التعصب المذهبي وضيق الأفق السياسي. كما يتطلب حواراً مستمراً بين العلماء والحكام إذ أن كثيراً من الأفكار والمواقف والمناهج تتأثر بالتوجهات السياسية.

### المؤسسة الإعلامية

يلعب الإعلام دوراً مؤثراً وامتزائداً في تكوين الرأي العام وتشكيل وجدان الأمم والشعوب. وهو الآن يقوم بدور حيوي في مجال الدعوة الإسلامية. كما أنه أداة فعالة في أيدي أعداء الإسلام والمسلمين. فمن خلاله يبتون الصور المشوهة ويشكلون صوراً ذهنية زائفة ويبذرون بذور العداء ضد الأمة الإسلامية ويربطون ربطاً خاطئاً ومغرضاً بين الإسلام والتخلف، وبينه وبين الإرهاب .

ويجب بالمقابل أن يستخدم الإعلام في إيقاظ هممة الأمة وفي دفع المسلمين في اتجاه النهضة والوحدة وفي إيجاد وتنمية التفاهم والتقارب بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم.

وقد تطورت وتعددت الوسائل بفضل الاكتشافات العلمية والإنجازات التقنية الحديثة وعلوم وفنون الاتصال. وصار الحديث الآن لا يتناول الصحيفة والمجلة والكتاب وأجهزة الراديو والتلفاز فقط، ولكن الحديث الآن يشمل الوسائط المتعددة **The Multimedia** التي تعنى حزمة من الوسائل الاتصالية تشمل شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) **Internet** والأسطوانات الممغنطة **C.D** والأشرطة السمعية/ بصرية وغيرها من وسائل الاتصال الحديثة .

إن وسائل الإعلام في الدول الإسلامية مطالبة بما يلي:

- العمل على تنظيم وإعلاء دور الإسلام في الارتقاء بحياة الأمة الإسلامية باعتباره دين العلم والعمل ، ودوره في توسيع آفاق المشاركة الشعبية بما يقرره من مبدأ الشورى، ودوره في تحقيق السلام الاجتماعي بحمايته للمصالح الخمس المقررة شرعاً: الدين والعقل والنفوس والنسل والمال، ودوره في السلام العالمي بما يقرره بشأن علاقات المسلمين بغير المسلمين.

- العمل على إزالة الجهل وسوء الفهم والنوايا بين الدول والشعوب الإسلامية وبينها وبين الشعوب الأخرى من خلال الانفتاح الواعي ونشر الأخبار والمعلومات الوافية والصحيحة.

- الرد على الدعاوى المغرضة والاتهامات الباطلة الموجهة للإسلام في الداخل والخارج، خاصة فيما يتعلق بقضايا حقوق الإنسان بصفة عامة وحقوق المرأة والطفل بصفة خاصة. وقضايا علاقة الإسلام بالعلم والممارسة السياسية وقبول الآخر مادياً وفكرياً.

- العمل على إشاعة روح الالتزام بالدين دون إفراط أو تفريط والدعوة لقبول الرأي الآخر واحترام الرأي المخالف وإرساء قواعد الحوار القائم على التكافؤ والتسامح.

- التعريف بالجهود العلمية والثقافية التي تبذل في مجالات التقريب بين المذاهب سواء من خلال الإعلام العلمي المتخصص أم من خلال الإعلام العام.

وتنفيذ هذه المهام وتحقيق هذه الأهداف يتطلب إلى جانب ما أشرنا إليه في جانب المؤسسات العلمية والتربوية إعداد سليماً لإعلاميين يجيدون التعامل مع معطيات العصر، مع تزويدهم بالثقافة الإسلامية المستنيرة المستجيبة لمتطلبات العصر. ويتطلب توفير المال اللازم - وقبله الإرادة السياسية - لإنشاء قنوات إعلامية قادرة على مخاطبة الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية باللغات المختلفة وبأسلوب العصر. وإنشاء مواقع موحدة على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) لنشر المعلومات الصحيحة عن الإسلام وتصحيح المعلومات الخاطئة. والطريق طويل والمهمة صعبة. ولكن الهدف النبيل الذي نسعى إليه يستحق أن يبذل في سبيله كل فكر وجهد ومال.

### حسن الظن

إن النصوص الشرعية والسنة النبوية تنهي عن أن تكون نظرة البعض إلي البعض الآخر بارتياح وتوقع الشر منه ، وعن إن يكون سوء الظن مقدماً على حسن الظن .. وتقول د . سعاد : المولى سبحانه طالبنا باجتنبنا الكثير من الظن لأن بعض الظن إثم ، : «يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن

إثم» (الحجرات: ١٢) ، كما يحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول:

(إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) متفق عليه ، فالجدير بالمسلم أن يربأ بنفسه عن الظن ، وأن يتعامل مع الناس وفق ما يرى ، ويسمع ، وحسبه ذلك..

فرسول الله صلى الله عليه وسلم يدرك إن حسن الظن يؤدي إلى سلامة الصدر وتدعيم روابط الألفة والمحبة ، فلا تحمل الصدور غلاً ولا حقدًا ، و تسود المودة والرحمة والتسامح بين أبناء المجتمع ، بل حتى إن جاءت وسوسة الشيطان بسوء ظن بأحد أفراده تجاه فرد آخر صرف الفرد ذهنه إلي حسن الظن.

### هجر السلبيات :

وأتمنى أن نهجر كل السلبيات في حياتنا من ترك أمور الضعف والهوان التي نعيشها ونكون مثل هؤلاء الذي نصرنا وانتصروا مع رسول الله فلما كثر الإيذاء للمسلمين من المشركين أذن الله عز وجل لرسوله وأصحابه بالهجرة وفي هذا الإذن كانت هناك دروس وعبر ينبغي أن يتمسك بها المسلمون فمع مجيء إذن الله لرسوله بالهجرة بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم في الإعداد لهذه الرحلة الشاقة وأراد الله عز وجل أن يعلم أمة الإسلام من خلال هجرة نبيه الكثير من المعاني التي تحمل في طياتها كل أسباب الرقي والحضارة والتقدم إذا تم الأخذ بها فالنبي وهو المحفظ من قبل ربه جل وعلا يعمل جاهداً على إعداد عدة السفر ليرسخ قاعدة ضرورة الإعداد للأمور والقضايا وعدم الانفلات والدخول في أمور بغير رؤى واستعداد مسبق ثم يعمل على تأكيد قاعدة جديدة خلال الرحلة وهي ضرورة التخطيط الصحيح من أجل الوصول للهدف المنشود فيغير طريقه من الشمال إلى الجنوب حتى يشتت انتباه المشركين .

## أسس المجتمع الجديد :

وبعد وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى مدينة قام ببناء المجتمع الجديد في المدينة على ثلاثة أسس ينبغي وضعها كقواعد لبناء الأمة والمجتمع الإسلامي الصحيح وهي : بناء المسجد النبوي وفي ذلك إشارة إلى أن أساس صلاح المجتمع هو الاتصال بالله وهو الذي يثري ويؤكد اتصال الإنسان المسلم بخلق الله وتنظيم صلته بالناس والمؤاخاة التي ربط بها الرسول صلى الله عليه وسلم بين الصحابة كرباط إسلامي يفوق رباط الدم ليؤكد أن المجتمع لا يمكن أن، يكون قوياً إلا بالتعاون والتكليف والمعاهدة التي أبرمها مع الطوائف اليهودية الثلاث " بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع والتي أقر عليهم فيها حقوقهم وجعلهم مع المسلمين أمة واحدة وهذا يؤكد أن وثيقة المدينة تعتبر دستوراً خالداً أكد أسبقية الإسلام لكافة القوانين والمواثيق الدولية في إقرار حقوق الإنسان .

## شروط المفتي :

بعد ذلك ننتقل إلى قضية الإفتاء التي شغلت الرأي العام الإسلام خلال الفترة الأخيرة فالمفتي سواء كان رجلاً أو امرأة لابد وأن يكون دارساً للمذاهب الفقهية والتشريع الإسلامي ويفهم النصوص القرآنية واللفظ القرآني ودارساً للفقهاء المقارن الذي هو دراسة المذاهب الثمانية ومعرفة الآراء المتعددة في الشأن الواحد ودليلهم وقدرة المفتي على اختيار الرأي المناسب للحالة التي أمامه على وأي مذهب الفقهية المعروفة التي يستند إليها .

## تضارب الفتاوى :

ما زالت قضية عدم توحيد الفتوى قائمة ونجد تضارب للفتاوى في مختلف الدول الإسلامية بل وداخل الدولة الواحدة وهو ما تم استغلاله للهجوم على الإسلام

منه هنا أقول إنه لابد أن تكون هناك لائحة بمجمع البحوث الإسلامية تنص على تشكيل هيئة كبار العلماء وتتكون من ٥٠ عالماً من مختلف البلاد الإسلامية وللأسف هذه اللائحة معطلة فلا بد أن يضم مجمع البحوث هذا العدد من العلماء وأهل الذكر ولا أقصد بأهل الذكر رجال الدين فقط بل جميع المتخصصين في جميع المجالات مثل الطب والاقتصاد وغيرها والذين يجب الأخذ بآرائهم في الأمور المستحدثة والجديدة ففي عصر "أبو حنيفة والشافعي" لم تقع هذه المستجدات ولذا أطالب بأن يكون هناك اتفاق من قبل كل المؤسسات الدينية في الدول الإسلامية على إعادتها إلى جانب ضرورة وجود ممثلين لمختلف القضايا الإسلامية على أسس شرعية فنحن نحتاج بالفعل إلى آراء العلم والدين معا حتى تخرج الفتاوى بصورة دقيقة تتفق مع الأصول الشرعية وتراعي المستجدات الحياتية والواقع الذي عيشه الآن .

## أهل الذكر

وقد قدمت اقتراحا قد يسهم في التصدي لفوضى الفتوى الحالية بحيث يتم تخصيص دار الإفتاء للأمور الحياتية التي تخص المسلم في عباداته ومعاملاته اليومية لتجنب عن التساؤلات بالعبادات والزواج والطلاق والزكاة وهذه الدار من الممكن أن تقوم بهذه المهمة بشكل سليم أما الفتوى التي تخص الأمة وتمس مصلحتها فإنها تحتاج إلى فتوى جماعية لا يمكن أن يصدرها ويتحمل مسئوليتها شخص واحد ولكن يجب أن تتصدى لها المجامع الفقهية حتى تخرج الفتوى بجماع الآراء فليس من العقول في قضايا "الرأي للمفتي" أو غيره من رجال الدين مهما بلغت درجة علمه لأنها تحتاج إلى رأي جماعي من عدد كبير من الشيوخ والفقهاء.

## فوضى الفتاوى :

وفوضى الفتاوى التي نعيشها الآن يرجع ذلك إلى وجود العديد من القنوات الفضائية التي تعتمد على مبدأ المنافسة التجارية وجذب الإعلانات حيث انجذبت إلى هذه الفضائيات شخصيات لها بريق إعلامي عن طريق ما تقوم به من أفعال وأقوال وحركات وانفعالات دون التأكد من علم هؤلاء وقدرتهم وأهليتهم للإفتاء بالإضافة إلى اعتزال بعض الفنانين وخوضهم لمجال الدعوة الأمر الذي شجع التوسع والتوغل في موضوع الفتوى والإفتاء وأصبح كل من قرأ كتاباً في الدين أو ذهب إلى معهد إعداد الدعاة بمصر وجد في نفسه الصلاحية فيذهب إلى النادي وأماكن التجمعات ويكون لنفسه شعبية ليخترق بها الفضائيات وخاصة برامج الفتوى الأمر الذي أدى إلى حدوث بلبلة وفوضى في الإفتاء والدعوة تختلف عن الإفتاء فالدعوة تعنى التحدث في مبادئ ومفاهيم الإسلام وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء إذا كن صادقات في اعتزالهن فليسكن طريق الدعوة والبعد عن الفتوى .

## المرأة والإفتاء :

وهذا يختلف عن كون المرأة مفتية في العديد من الدول العربية والإسلامية كما في ماليزيا وإيران والإمارات....

فلماذا المعارضة على جعلها مفتية في مصر وليس هناك مانع شرعي في أن تتولى المرأة الإفتاء إلا أن المعارضة في مصر شديدة فقد تقدمت بطلب إلى مفتي مصر السابق الدكتور نصر فريد واصل ، وخضت من أجل ذلك حروباً عديدة وطويلة لم تنته حتى الآن ورغم أن جامعة الأزهر تقوم بتخريج متخصصات في الفقه المقارن ويحصلن على أعلى الدرجات العلمية مثل الرجال ويناقشن الرسائل

العلمية منذ ٤٠ عاماً وهناك مساواة مطلقة بين الرجل والمرأة في الجامعة إلا أن المفتي يقول لا يوجد من يصلح لهذا المنصب من النساء فللأسف الشديد إن قضية احتكار العمل الديني والإفتاء على الفقهاء من دون الفقيهات أمر يؤرقني بشدة فمن خلال بحثي وقراءاتي المستمرة وجدت إجماع الفقهاء والمفسرين المحدثين والأصوليين على أن الذكورة ليست شرطاً للإفتاء وأن المرأة لها أن تفتي بصفة عامة رجالاً ونساء وبصفة عامة رجالاً ونساء وبصفة خاصة للنساء والرسول صلى الله عليه وسلم كان يسترشد بأمهات المسلمين في توضيح الأمور الخاصة بالنساء فكان "الرسول" هو "المشرع" وكانت السيدة عائشة-رضي الله عنها- بجوار الرسول وكذلك باقي زوجاته ولاسيما "أم سلمة"- رضوان الله عليهن- وكانت النساء قد طلبن من الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يجعل لهن يوماً يفتيهن في أمور دينهن وكانت هناك دائماً أسئلة تتعلق بأمر خاصة مثل الطهارة وعلاقتهن بأزواجهن وكان الرسول وهو المتحلي بخلق الحياء لا يستطيع أن يوصل الإجابة للنساء في مثل هذه الأمور ، فكان يستعين بالسيدة "عائشة" ويحيل إليها النساء لتوضيح الإفتاء فكانت تأخذ كل سائلة على حده تشرح لها بالتفصيل ما تريد .

اليوم ما المانع أن السيدة الفقيهة المتعلمة الحاصلة على نفس شهادة الرجل أن تفتي النساء والرجال أيضاً على حد سواء وما الضرر في هذا أو ما العيب؟! فالفقه فقه واحد والنساء دائماً لديهن ما يتخرجن من سؤال الرجال فيه خاصة العلاقة بين الأزواج ومع هذا للنساء الحق في سؤال الرجال والرجال يسألون النساء حيث كان الصحابة يسألون السيدة "عائشة" -رضي الله عنها- وسيدنا

”عمر” وهو الصحابي وخليفة المسلمين كان يسأل ابنته السيدة ”حفصة” عن الفترة التي تستطيع المرأة أن تصبر على بعد زوجها عنها فأجابته: أمثلك يسألني يا أمير المؤمنين فقال: نعم يا ابنتي هذه أمور لا يفهمها إلا النساء فقالت له: أربعة أشهر.

فالإسلام لم يمنع من أن تكون المرأة مفتية أو تتولى همة الإفتاء سواء أكانت للنساء فقط أو للرجال والنساء ولقد قمت بعمل بحث عن المرأة والإفتاء ووجدت إجماع جميع العلماء من مفسرين ومحدثين وأصوليين وفقهاء على أن الذكور ليست شرطاً في المفتي وإنما الشروط هي: العدل والأمانة العلم لأن الإفتاء معناه إظهار الفتوى من حيث الحكم الشرعي لها من خلال كتب التراث فهي ليست اجتهاداً في الحكم وأنا لا أرغب في أن أتولى منصباً رسمياً وإنما أرغب في مساعدة بنات جنسي خاصة أن هناك بعض الأحكام الخاصة التي تشعر فيها المرأة ببعض الحرج حينما تسأل عنها رجلاً وهذا الحرج مرفوع عند سؤالها لأختها من بنات جنسها ولذلك فما المانع أن يكون هناك مفت للرجال ومفتية للنساء؟ أليس في ذلك مصلحة للدين الإسلامي ولتصحيح المفاهيم الخاطئة والرد على الدعاوى الباطلة سواء كانت من جانب الرجال أم من جانب النساء؟ وإني أقوم بهذه المهمة مع النساء في النوادي الاجتماعية ووسائل الإعلام والمدارس والجامعات والجمعيات النسائية حسبة لله سبحانه وتعالى وزكاة عن علمي وديني بعيدة عن المنصب الدنيوي.

فوجود مفتية للنساء يرفع الحرج عن النساء أمام الرجال لكن الذين يعترضون على وجود مفتية امرأة هؤلاء لهم أسبابهم التي يتذرعون بها ومنها الرأي العام

الشعبي الذي لم يألف وجود امرأة متخصصة في الفقه كالرجال حيث كان التعليم الديني الأزهري دائماً مقصوراً على الرجال وللأسف لم تدخل المرأة التعليم الأزهري إلا منذ عام ١٩٦٣ بالفعل تأخرنا كثيراً .

السبب الثاني : أن البعض يرى أنه بما أن المرأة يطرأ عليها أمور مثل الحمل ، الحيض ، النفاس ، فلا يجوز لها أن تفتي وهي على هذا الوضع وهذا شرعاً غير صحيح لأن الإفتاء ليس قراءة القرآن ولا يتطلب أن تمس المصحف حتى نمنعها من الإفتاء .

أما السبب الثالث: وهو أنهم ينظرون إلى امرأة على أنها عورة وفتنه ولا يجب أن تظهر في مجالس الرجال والإفتاء سيجعلها تظهر باستمرار في مثل المجالس وبالطبع هذه ثقافة موروثية خاطئة تتعارض مع النصوص الشرعية من الكتاب والسنة يقول الله تعالى في سورة التوبة : والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ".... والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو "الإفتاء ويقول الله تعالى أيضاً "واستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض "هناك أدلة كثيرة والرسول - صلى الله عليه وسلم - حينما قال : " خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء " أي السيدة عائشة - رضي الله عنها .

الذين يريدون حرمان المرأة المتخصصة من الإفتاء هم يهدمون جزءاً كبيراً من سنة الرسول - عليه الصلاة والسلام - ويتصادمون مع نصوص القرآن الكريم . المرأة العاملة الفقيهة الأمينة هي التي يمكن أن تتولى الإفتاء مع مراعاة الضوابط الخاصة بالظهور أمام الرجال وأقصد بذلك الابتعاد عن الزينة والتطيب و"

الميوعة" في القول والتبرج وأيضاً تبتعد عن الخلوة فما المانع أن يخصص للنساء يوم في دار الإفتاء مع أساتذة متخصصة لرفع الحرج عنهن وللإجابة عن استفساراتهن؟! ونحن لا نسعى بذلك لبلوغ منصب في الدولة يصدر به قرار جمهوري بأن يكون هناك مفت للرجال ومفتية للنساء فلنا مناصبنا في جامعاتنا كأستاذات في جامعة الأزهر ولكن نريد أن يخصص لنا مكان ووقت للاجتماع فيه مع كل امرأة تريد أن تسأل فيه عن شأن في شؤون دينها أو عن علاقتها بزوجها أو أبنائها وغير ذلك من خلال لقاءاتي في الندوات والمساجد والمدارس فلماذا لا تجمع هذه الاستفسارات ونختار لها مكاناً واحداً في دار الإفتاء كمكان يثق فيه الجميع لصدور مثل هذه الاستفسارات والفتاوى وأنا بذلك أتحدث عن حاجة ضرورية أصبحت ملحة بالنسبة للمرأة المسلمة في كل مكان الآن .

فجميع العلماء والمفسرين والمحدثين والأصوليين والفقهاء اتفقوا على أن الذكورة ليست شرطاً في المفتي وإنما الشروط هي : العدل والأمانة والعلم لأن الإفتاء معناه إظهار الفتوى من حيث الحكم الشرعي لها من خلال كتب التراث فهي ليست اجتهاداً في الحكم .

لكن المرأة الإمامة العامة لأنها من صميم الدين الإسلامي فالأصل في التحريم أن يكون مبنيًا على دليل قطعي من القرآن الكريم أو من السنة النبوية يفيد التحريم ...

ويجب أن نفرق بين الإمامة العظمى وبين رئاسة الدولة فبالنسبة للإمامة العظمى يشترط الذكورة فلا تصح المرأة أن تتولى الإمامة العظمى استناداً إلى قوله صلى الله عليه وسلم "لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة وهذا يفيد بالإجماع منع تولى

المرأة الخلافة العامة للمسلمين والإمامة العظمى بحيث أن المرأة لا تصلح أن تؤم الرجال وهذا ما انعقد عليه الإجماع منذ عصر الرسول عليه الصلاة والسلام وإلى أن تقوم الساعة ولن يخضع ذلك لمتغيرات عصرية أو مكانية .

### الفتوى الملزمة :

وكم من فتوى يصدرها المفتي وتثور عليه الصحافة والرأي العام لأن الفتوى ليست ملزمة وهذا ليس أمراً مهماً فرأى المفتي غير ملزم بمعنى أن هناك مذاهب أخرى غير مذهب المفتي فهناك مذاهب قد تجيز أمراً للسائل بشرط تتعارض مع النص القرآني أو الثوابت كما أن الإفتاء للعامة غير الإفتاء للخاصة بمعنى لو سألتني أحد عن رأي في فوائد البنوك مثلاً فمن دراستي أرى أن فيها شيئاً من حراملاً أستطيع أن أطبق رأياً إلا على نفسي لأنني دارسة وعالمة بالفقه أو أرف أن فيها شبه حرام لا ألتزم برأي المفتي ولكن عامة المسلمين لو سألوا شيخ الأزهر أو المفتي وأفتي لهم بأنها حلال فليأخذوا بفتواه ولكن أنا لا آخذ بكلامه لأنني درست مثل المفتي الذي رجح رأياً عنده يبيح المعاملات البنكية والفوائد وهو رأي غير مقنع لي .

كما أن هناك فرق بين الدعوة والإفتاء فالدعوة بمفهومها العام هي إبراز وإظهار وتبني سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسلوكياته مع أصحابه هذا شيء نحن في أشد الحاجة إليه كما يفعل "عمر خالد" وخصوصاً أن الكل مع الأسف حصر الرسول في بشريته وفصله عن رسالته ....

نظروا إلى ملبسه ومأكله ونعاله نظرة ظاهرية فقط .

المهم في أسلوب الدعوة أن تكون بالموعظة الحسنة بعيداً عن اللعن والتكفير وعذاب النار والشجاع الأقرع يا جماعة "بشروا ولا تنفروا" .

